متواليات البحر

شعر

إبراهيم حسين

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إقليم شرق الدلتا الثقافى
فرع ثقافة كفر الشيخ



إبداعات إشراقة

5

الديوان :متواليات البحر
الشاعر : إبراهيم حسن حسين
الناشر : الهيئة العامة لقصور الثقافة
فرع ثقافة كفر الشيخ
الطبعة الأولى : يناير / ٢٠٠٠ - القاهرة.
لوحةالغلاف للفنان : عبد الوهاب عبد المحسن
رقم الإيداع : ١٦٢٢ / ٢٠٠٠



الإخراج الفنى والتنفيذ
سما للنشر والتوزيع

٢٩ شارع الرشيدى-متفرع من القصر العينى - القاهرة
تليفون + فاكس : ٣٦٥٩٢٩٣
Email : afifi@netscape.net

إلى تغريد وبهاء وضياء أبنائى
وإلى زوجتى رفيقة الدرب

متواليات البحر

متواليات البحـر

- ١ -

البحرُ فى قلبى فراغٌ شاسعٌ
والموجُ ينخرُ بالشطوط
وقتٌ يمر ولا يفوتْ
جرحٌ يقاومُ لا يموتْ
والبحرُ يُلقى داخلى كلَّ الخطوطْ
ومراكبُ الأيامِ تزحفُ نحونا
وحدى مع الشطِّ الحزينْ
لا شئَ غيرى يكتوى
بكل أخلاطِ اليقينْ

- ٢ -

أبنيتى:

لم أرتحل طمعًا فى مالٍ أو ياقوتْ

لم أنحنِ يومًا لسلطانٍ أو طاغوتْ

أنا لم أبعْ نفسى وإيمانى

لراياتِ السكوتْ

وأنا مضىءُ شمعتى وسطَ الدروبْ

- ٣ -

فلتنظرى
قد لا ترى خلقَ الإلهِ ها هنا
إنى أتوه بدربهم
وأعيشُ فى بطنِ القفارْ
وأراقبُ النجمَ البعيدَ على المدى
كى يُرخى بالكونِ الستارْ
وأشكُّ فى بدءِ النهارْ
لا شئَ يمنحنى الحوارْ
فالبحرُ يُقلع غالبًا نحوَ الغروبْ

أنا قد شربتُ من الضمائرِ والبصائرِ
كلّ أشكالِ الوجعْ
حتى أرتويتُ مع الزمنْ
قد ظلَّ عودى ينزوى
يومًا فيومًا ينثنى
بكلِّ ألوانِ المحنْ
حتى امتلأتُ قناعةً
أن المواسمَ تزدهى
تخضرُّ فى وقتِ الحصادْ
إنى ركبتُ الأرضَ أغنيةً
وأنتثرتُ عقيدةً فوقَ الوهادْ
وملأتُ آفاقى البعيدهْ

لؤلؤًا وأصدافًا وحيدهْ
البحرُ يمرقُ كالطفولةْ
ويهبُّ فى وجه الحياهْ
من يشترى عرق الجباهْ
من يمنحُ الموتى القبورْ
البحرُ لا يرضى كثيرًا بالفصولْ
لكنه يمتدُ طولاً بالعروقْ
حتى يفوقْ
ويظلُّ يُعطى بلا انتهاءْ

- ٥ -

قد كنتُ آعشقُ جلستك عندَ المساءْ
حين يلفُّ الحبُّ فينا فراشنا
وأراكِ حبًا كالفراشِ الهائمِ
فوقَ صدرى و الجروحْ
أين الندى؟
وأزهارُ الحديقةِ والطفولةِ والمروجْ؟
كان السؤالُ بجبهتك
كالضوءِ يروى حديثنا

مازالتُ أذكرُ جلستك
بشاطئِ البحرِ القريبْ
حين يلاقى الموجُ همسَ طيوفنا
فتنامى حينًا كالملاكِ الطاهرِ
وتغيبى فى دنيا الإله
وأظلُّ أرقبُ بسمتك فوقَ الشفاهْ
قد كنتُ أسألُ دائمًا
عن بقعةِ الأرضِ التى
تأوى طويلاً حلمنا
وتضمُّ منَّا وقتنا
وأقدمُ القلبَ فداكِ
ما كنتُ أسألُ ابنتى يومًا سواكِ
عن وقتنا المصلوبِ من غيرِ انتظارْ

- ٧-

أبنيتى:

لم ألقِ ضوءَ قصائدى

لأى فصلٍ من فصول المسرحةْ

لم يرتبط شعرى بخبزٍ

إرتباطَ المصلحةْ

لا كان يقبلُ طاعةً

أو كان يقبلُ مشهدًا متخاذلاً

ليموتَ طعنًا بعدَ طولِ مطارحةْ

لم أحنِ رأسَ قضيتى
يومًا لدقاتِ الطبولْ
قد كان مثلى مؤمنًا
بالركضِ أسرع بالخيولْ
وثبوا سراعًا مثلما
وثبَ الجرادُ على الحقولْ
لكننى:
ما زلتُ أعشقُ حارتى
وأحبُّ فيها مراتعى وطفولتى
وأحكى رواياتٍ عديدهْ
فقد روتها جدتى
فى كلِّ شئٍ بالديارِ حبيبتى

- ٩ -

«تغريدُ» يا نخلاً يرفرفُ بالغصونْ

ويثيرُ فى نفسى كثيرًا من أحاديثِ الشجونْ

«تغريدُ»

إنى عائدٌ

يومًا لبابك والسمرْ

وأدقُّ دقاتى الخفيفةَ بابنا

وأظلُّ أنتظرُ القمرْ

حتى يطلَ مغردًا

وفاتحًا قلبى إليه

وحاملاً عطرَ السحرْ

«تغريدُ»

إنى قد نسيتُ من أنا

ونسيتُ حتى من يوارى دمعنا

ونسيتُ كلَّ الأزمنهْ

ونسيتُ نفسى والعيون تجمدتْ
ترنو إليكِ من بعيدْ
لاشئ فى قلبى يكونُ هو الجديدْ
إلا سواكِ يا «تغريدْ»
«تغريدُ»
أمنيتى وأغنيتى
من يعبرُ القلبَ المعنىّ والمخاطرْ
ويلمُّ فكرى بينَ أشتاتِ المجازرْ
ويعيدنى صحوًا مثيرًا للسماء
ويعيدنى حرفًا مغامرْ

«تغريدُ»

يا كلَّ المدائنِ والحدودْ
الكونُ فى عينيك أغنيةٌ
تأبى الحواجزَ والسدودْ
وأراكِ أعذبَ أغنياتْ
لا لن تموتْ

«تغريدُ»

يا ظلاً يداعبُ مقلتى
ويبوحُ لحنَ الأمسياتْ
ويبثُّ بالفجرِ المقاومِ غربتى
زهرًا يعانقُ ظلنا قبلَ المماتْ

فغدًا تدقُ نوافذى

أجيادُ فرسان الأنينْ

لا تحسبى أن الطيورَ بروضنا

يومًا تكونُ خائفةْ

لا لن تكونْ

أن انحناءً لا يكونْ

حتى لوجه العاصفةْ

لا لن يكونْ

بل فاعرفى:

أن انتظارًا قائمًا زرعَ الدماءْ

والجرحُ فى قلبى كبيرٌ

حجمه حجم الفضاءْ

- ١٣ -

فالبعض مسلوبُ المواهبْ
والكلُّ مجهولُ السواعدْ
والبعضُ يهوى أن يعيشَ
فوقَ مختلفِ الموائد

قد تحزنى يومًا هجرتُ حديقتك
ودعتُ أجملَ نظرةٍ
كانتْ تترجمُ بسمتك
«تغريدُ»
قد تتعجبى
إن كان عصرى راحلاً نحو المهانهْ
نحن نعيشُ عهودنا
تغتالُ فينا الإبتسامهْ
تغتالُ منا روحنا
وتعيدنا عصرَ الجهالهْ
وتظلُّ تحفرُ قبرنا
من دونِ وقتٍ أو علامهْ
موتى نعيشُ كأننا
سكرى نفاخرُ بالثمالهْ

- ١٥ -

والآن أعترفُ إليك بأننا
قد جئنا من عهدِ الضياعْ
وشربنا من طينِ البرارى طمينا
حتى ارتوينا للنخاعْ
وأخذنا للترحالِ حيناً موثقاً
لكننا نأبى الصراعْ

وإن انتبذتِ من وادينا موضعا
ونذرتِ للنهرِ الجميلِ منابعا
مُدِّى يديك حبيبتى
وتجملى صبرًا مطاعْ
هُزِّى بديعَ نخيلنا
يتساقطُ التمرُ الوداعْ

نبوءة

الأمسُ الذى ورثناه
يُسقطُ كلَّ أصواتِنا
ويَحرقُها
بينَ تقاطعاتٍ هى الوشمُ الذى استباحَ جلودَنا
تلك تواريخُ الغائبين
تطلُّ علينا بالضوءِ المخبوءْ
نفتقدُ فيها بلاغةَ المدى الساكنْ
بهزيعِ ليلٍ ثقيلْ
فيطوفُ كالنسرِ فوقَ الماءْ
حين تغنى الأنهارْ
تنطلقُ مساربُها

فتزيلُ عقمَ اللأرضِ وجدبَ الطمى
أجلِّى الآن من مخاضِك
إن هذا الليل يشتهى شيئًا
من دماءِ الصغارْ
خدعتنا أعيادُ اليقينِ
وبراءةُ الطفولةْ
وفورةُ الحلمِ المتساقط
برؤى صبيّاتٍ يهزجن عندَ حلولِ الفجرْ
تأخذنى بدايةُ النهاياتِ بحشدٍ
من التقاسيمِ والتداخلاتْ
وبعضِ بقايا العائدين
وسباقاتِ الليلْ
بينَ أعينٍ خوَّفها صمتُ المزارعِ والحقولْ

وسقوطُ التائهين فى دروبِ العتمةْ
والخبزُ وجرعةُ ماءْ
الشوارعُ تزحفُ
تُفسدُ براءتها القصائدُ واهتزازُ المصابيح
فى أيدى المغنى
واكتساحاتُ الأجنةِ غيرِ المرغوبةْ
وحواجزُ الأفق التى
تستبينُ الوجوهَ القديمةْ
بينَ سالفِ الغيبِ وقادمِ الصحوْ
تأهبُ نوافذُ البرقِ
تنسجُ من خيلائها
مقاييسَ ارتفاعِ ضغطِ النهرْ
وانفعالاته المكدسةْ
فتُلقى ظلالَ الجهاتِ الأربعْ
على أشلاءِ جُرحٍ قديمْ

خلفَ انسحابِ الليلِ دونَ مواجهةٍ
مع التراجع والافصاحْ
تُراقبنى بوابةٌ صرعى
تقاومُ عوائدَ الأرضِ.. وتدفعُ جاذبيتها المتسلطةْ
فى معركةٍ شبه قياسيّةْ
كلُّ التوازناتِ بينَ براءةِ الأرضِ
وانفضاحِ القانونْ
أثبت الآنَ انهيارَها الفعلى
فادخلْ دائرةَ الفعلْ
واخلعْ عنك ثيابَك
وتدثرْ إن جاءَ الوعدْ
واحملْ باليمنى قصيدَ العشقْ
ولا تلقِ إلا بالوقتْ
واغلقْ دائرةَ الخوفْ
واركبْ
لكن ليس خيول القهرِ وليس رماح القتلةْ

أُدْخلتُ أحراشَ العرسِ الوهمى
فأزحتُ قناعَ الوجهْ ففرَّ قطيعُ الحلمْ.....
فى وجهكِ أناتٌ تُوشكُ أن تُبدى
كلَّ الأسرارْ
نسجتْها ساعاتُ القهرِ وبطءُ الفجرِ
وحالاتُ الهذيانْ
هل يسرقُكَ نسيانُ الصوتْ؟
أم هلْ يسرقُكَ
وطنٌ قادمٌ من منفى الموتْ؟

المد الطالع

ماذا لو يبدأُ مدُّ الطمى
فتركبُ بعضَ جهاتِ الأرضْ
من كل طقوسِ العمرْ
ماذا قدْ تعرفُ عن تلكَ الأجناسْ؟
الكاهنُ قد يقسمُ عندَ المذبحْ
محتفلاً بالمدِّ الطالعِ عبرَ ثباتِ الأحرفِ والأسماءْ
أخر حرفٍ أعرفهُ
قد نام بحضنِ وحيدٍ من طيرٍ أغلق أسراره
فى سدرِ الشمسْ
ويهزُّ الصمتُ معاطفَ إمرأةٍ
أخذتها سيولُ الضوءْ
إسفنجُ البحرِ سيُغلقُ خلفى دربًا

أحْسبهُ الريحْ
فالموجُ لبعضِ الوقتِ
لغاتٌ وجنونْ
والثقلُ الغائبُ فى رأسى
يشتعلُ، يتقدُ والحرفُ يصيرُ جحيمًا
حينَ يكونْ
فلتمضِ بحلمِ النهرِ وسرِ الملكِ وآياتِ الغفرانْ
أنتَ الزاحفُ خلفَ مطاحن ريح العشقْ
تنسجُ من ليلك شاراتِ الوجهِ الشاحبْ
منتظرًا خيطَ الساحرِ بعرى الأرضِ
ووجهَ الملكهْ
ألهثُ فى دربِ البركانْ
أحملُ أوراقًا للجنِ وبعضِ الأسحارِ المجهولهْ
تتقلبُ مدنُ العطشى العاتى
بينَ شباكِ الصيدِ وقرصان الماءْ

أعرفُ أن الريحَ سيأتي
يتحزمُ بالنجمِ الغيمِ وبالأوراقْ
نافضًا صمتَ الفصولْ
حاملاً جسدَ الأرضِ الناهضْ
منعتقًا بأوجاعِ المصابيح
قابرًا أشباحنا فاتحًا سفرَ الغيوبْ
لغةً تتمشى بعمق مناراتِ البحرْ
تتعانقُ فيها ناصيةُ السُّورِ المتعاظمْ
والمثقلِ مُدنًا سحرتْها بعضُ الأضواءْ

لا أحد له هيئة الفاتح

لم تتقطعْ جُدرُ المدينهْ
للموجِ والريحِ الغريبهْ
وبعضِ أدخنةِ القوافلْ
حينَ أمَّ قيادَها
جوعُ الحنينِ إلى الفناءْ
واليأسُ يغمرُ خَمرها
فَقْدُ اصطبارِ الجدبِ للماءْ
وأنا أمدُّ جدارَ تأويلِ الرؤى
ما بينَ تكوينِ الجهاتِ الأربعهْ

•••

فلْتَتزفِى بالركبِ خيلاً غاضباتٍ مترعهْ
هذا ركابُ البحرِ دمعٌ يحترقْ
فليُخمدُ البحرُ البعيدُ الآنَ

ثورته لأقبيةِ الثغورْ
وجعُ القوافلِ لا يمرُّ ببابنا
أغلقنا فى وجوهِ الخيلِ دروبَ العشبِ والترحالْ
وكلَّ مواسم الأمطارْ
وهُناكَ شقَّ السهمُ فاتحةَ الغيابْ
كانوا هُناكَ يُفتشُون عن وقتٍ جديدْ
كانوا هُناكَ يُوثقُون جرائمَ الشرفِ الجريحْ
وليس يُسْعُدهم سوى وقتٍ جديدْ

●●●

ها أَنا أدنُو إليكِ غيمةً تنمو
وتنزفُ فى صقيعٍ حزين طمّيًا للفراشةْ
بلا جوازٍ أو تأشيرةٍ دخولْ
والنارُ إمرأةٌ رمادُها زيفُ الرسائلْ
قد أحرقتْ لُغتى وبعضًا من مواويلى

●●●

هذا اقتتالُ نوارسِ البحرِ
ونعشُ الحقائبِ وظلُّ الماءْ
هذا انتهاءُ تجاربِ الكيمياءِ وأطعمةُ الدفوفْ
وهنا اختباءُ خرائطِ الأرضِ
تحتَ أقدامِ الرعاةِ وتفاحِ الهزيمةْ

●●●

أنتِ مازلتِ وثابةً فوقَ الغرقْ
تلكَ أسرارُ الخطايا
دروبُك الأنَ مضمخةٌ ببركانِ الغضبْ
وطقسِ المواعيدْ
وذاكرةٍ لها جدوى
أبحثُ لكِ عن عشبٍ طرى ومنفىً قريبْ
فأجنحتى من التحليقِ احترقتْ
بشمسٍ مصابةٍ بنفطِ الهشيمْ
فأُدخلتُ إلى حضرةِ الملكوت

وعرشِ التمتعِ والصولجانْ
فهذا ارتعاشُ السيفِ فى غمدِ الملوك
زائلٌ باحتفالٍ شائعٍ

•••

قال المغنىِّ:
لا أحدٌ له هيئةُ الفاتح ومجدُ المسوحْ
قلتُ: تلكَ قافلةُ التلونْ
والقدومُ بصولجانٍ لا يُحاطُ بأسئلةٍ
إلا سؤالُ الميتين

•••

البحرُ تُقعدهُ تماثيلُ الخرافهْ
فكلُ طيرٍ فى عروقِ الليلِ يهطلُ بالغيوبْ
إنى لأقسمُ أنَّ «يوسفَ» لم يزلْ
يرى فلولَ الغدرِ فى طعمِ الغلالْ
ثُم يَهبطُ للترابْ

فتأخذهُ ليالي القيدِ والظلمةْ
وتسترهُ قرابينٌ من الفجرِ
وشمسُ نبوءةٍ فيها شجيراتٌ من المنفى
وثلجٌ بازغٌ بالجذرِ فوقَ منابتِ الرؤيةْ
تُزايدُ قامةَ الجسدِ
وغصنٌ واجمٌ أبلجٌ على وجهٍ من النارِ
وبعضِ خلائطِ الحلمِ

الوصايا

(١)

تلقيتُ كلَّ الوصايا
وطافتْ خيولُ المدينةِ بينَ الأزقةْ
تنامتْ بجوفِ الصخورِ الحقيقةْ
وكان انحدارُ الظهيرةْ
يفتشُ عن سحبٍ مُثْقَلاتٍ برحمِ الفصولْ
فأُدْخِلتُ بابَ الطوالعْ
وعدتُ إلى وهجٍ وحصارْ
حفظتُ انتماءَ الشطوطِ البعيدةْ
ولم يبق للرملِ إلا النسبْ
وعرسُ ارتداءِ القداسةْ
أخذتُ إليكِ مواويلَ عشقى
وطيرًا أسيرًا

وقدرًا يسيرًا من الضفتين
وتحتَ خيوطِ التماسِ اللواتى
من الضوءِ تنسجُ بعضَ المواقدْ
مساومةً لانشقاقِ المدى
هى الشمسُ تحوى يمامةْ
فترفعُ للأرضِ حُجبَ السماءْ
تُسرمدُ فوقَ الجناحِ التوقدْ
يُخاثرُ تزاوجَ فقدِ القمرِ بسحرِ الطلاسمْ
ودقِ الدفوفْ
أُوثقهُ طائرًا للتشهى
ووجهًا قديمًا تُخايلُ فيهِ بقايا السهولْ

(٢)

فأمنحُ نَفسى رحيقَ انتصارٍ
وأحصدُ منه بواكيرَ قمحٍ
يُعانقُ فيه قبابَ الجسورِ البعيدةْ
على ضفتيها ارتعاشُ الرؤى

وهمسُ الحدائق وصمتِ البيوتْ
ونحلةُ حقل تلاحقُ فجرًا
تُراودهُ نجمةٌ بالغيومْ
تخطتْ بليلٍ شقوقَ التلالْ
وأصلابَ عنقِ الشجرْ
فهلْ تعبرُ البحرَ يا سيدى؟؟
وفوقَ المياهِ رؤوسٌ ستطفو
وخلفَ السحابِ صهيلُ المطرْ
فتمنحُكَ الروحُ وقتَ التخلقْ
سترَ انكشافِ الغيوبْ
فيركضُ «أورفيوس»(١) صوبَ الوجوهْ
ليستجدى منفىً بوجهِ الرياحْ
وطمى الأراضى وغابِ المنافى
تبعثرهُ شلالاتُ المضايقْ

(١) إشارة إلى أسطورة «أورفيوس» حيث قطع النساء رأسه والقيت فى نهر «الهبروس»

وأفقُ المسالكِ وخسفُ الهضابْ
ونقشُ المحاجرِ وذبحُ الشعابْ
فتنمو بين رحاها السنابلْ
لمجدِ المياه سترٌ مقدسْ
يُلملمُ رائحةَ القديسيين
على ضفةِ النهرِ وجهةٌ ورمحٌ
يقايضُ شغفًا رأسَ الحُسينْ
ويمنحُ للنهرِ مأوى الغيابْ
وسرَّ الودائعِ بينَ الحقولْ
فمنْ أينَ جئتَ بطقسِ البراءةْ؟
وخَارطةِ لإحترافِ الإيابْ؟

بردية الزمن القادم

مثلما يصغى الماءُ
لوقعِ خطى شراعِ الصيادين
فى بحيرتنا
فتنشقُ أمامَهم دروبٌ طويلةٌ
فى أعماقِ المياه
وتحملهُم الريحُ حيثُ مواطئِ الرزقِ
فتنغمرُ أحلامُهم بالقمحِ والثمارِ العديده
وتحملهُم قوافلُ العودةِ عندَ المساءِ
محتضنين أطفالهم
تظلهم شمسُ قريتنا الغاربةُ
تكونين أنتِ
نافورةَ شمسٍ ذهبيةً
يسكننى حبُّكِ نهرًا

يروى ظمأَ القلبِ ويخلدُ فيه
مثلَ المولودِ فى اليومِ الأولْ
يا معشوقةَ كلِّ التعبَّى
ذى الأيدى السمراءْ
تنبتُكِ أرضُ «أتومَ»(١)نبعًا قدسيًا
يتعمدُ فيه
كلُّ حيارى القوم
فتسكنه جموعُ الطيرِ
ويمامٌ ألقى برحاله عندَ جبالِ التيهْ
تترامى من عينيك
شطآنُ الماءْ
أمشى فوقَ رمالِ الشَّطْ
حتى أصيرَ فصلاً بينَ فصولِ العامْ
أنزلنى العشقُ منزلةَ النيلِ الخالدْ

---

(١) تقول أسطورة خلق العالم التى كان يعتنقها قدماء المصريين أن بحيرة البرلس كانت تعرف باسم مستنقع «نون» وقد أنبتت زهرة اللوتس ومن هذه الزهرة خرج الإله الأعظم «آتوم» ومعناها الكامل وأن «آتوم» هو آدم أبو الخليقة

حين توحدَ فيه عشقُ صبايا بناتِ الحورْ
يحملُ فيضًا منذورًا لعروقِ الأرضْ
يقرأُ فى سيرته الكبرى
ملحمةَ الشهداءِ جميعا
كى يعطى وطنًا مقهورًا
منذورًا ما بينَ الجلدِ وبينَ الصلبِ
وبينَ مصافى الشمسِ الوحشيِّةْ
وطنًا خلّده تاريخٌ فى عينِ الزمنِ القادمْ
مكتوبًا بالشِّعرِ
منحوتًا فوقَ جدارِ الليلِ القاسى
حينَ يضمُ داخلَ جدرانهِ
وجهًا متعبْ
نذرَ العشقَ لحبٌ بلاده

كتبَ الوطنَ موالاً أغنيةً
فوقَ الجدرانْ
احتضنَ الشَّمسَ من ثقبٍ عندَ الصبحْ
أوقفه النهرُ وهو يسيرُ مهتديًا
بأغانى فلاحى النيلْ
مبتسمًا رغمَ الإعصارْ
أوقفه النهرُ وأخبره
بتبادلِ حملِ الناى
من بينَ أيادى فقراءِ الأرضْ
ليُغنى معهم مثلَ آلافِ المبعوثين
كلّ صباحْ
لأولِ ضوءٍ يرسله الفجرُ
يبحرُ داخلَ وطنٍ مرتحلٍ
بصوتِ الناى
يا وطنَ العشقِ المرفوعِ

فوق هاماتِ سيوفِ القهرْ
من أين تمرُّ الشمسُ فوقَ دوائرِ ليلِ المنفى؟
عمدتُكَ أولَ معشوقٍ منذَ الطوفانْ
خلدتُكَ نقشًا أبديًا محفورًا
فى معبدِ «هابو»
وحملتُكَ تاجًا للوجهين
أعطيتَ السرَّ لقوافل كلِّ الناجين
من بغدادَ وغرناطه
ومنحتَ الظلَّ لأولِ طفلٍ تنجبه «إيزيس»
كى يقرأَ فى برديَّةِ زمنٍ قادمْ
قصةَ حبٍ قد كُتبتْ فوقَ الأسوارْ

وليبق البحر

أتفرقُ بينَ بحور خالية
تأخُذنى إليك بِضَعُ نجوم
تغتسلُ بماءِ الليلْ
بك أجلسُ فوقَ ضفافِ النهرْ
افتحُ باسمِك وادى الجنْ
والماءَ الغائبْ
أنَفْضُ عنكِ رحيقَ البعدْ
وغبارَ الزّفةْ
أحْمل فوقَ هضابِك
اسمِى ويَومِى
وأُعرى زبدَ الكلماتْ
تتناثرُ حلقاتُ الأصفادْ

فوقَ دهور شتى
وهتاف الليلة المأمولةْ
فتعالى نسبقُ ظلَّ الأشياءْ
ويكونُ النبضُ على صدرى
كالغصن يُفتّح كلَّ الأوراقْ
تتماسكُ قدمى الأولى
بماء البحرْ
قدْ أَسْقطُ لكن للموج طقوسًا
ينتشلُ الغارقَ فى رفقَ
ويزيلُ كثيرًا من أقدامٍ
يومًا قدْ عبثتْ بشطوطه
وليبق البحرُ هُو الإنسانْ

عندما بعنا القمر

عندما بعْنَا القمرْ
كنتُ صبيًا للغايةْ
لم يكدْ يهْمى لسانى عن هويةِ مشترٍ
اشْتركنا بالجريمةِ
لأننى لم أكنْ أعرفُ تابوتًا واحدًا
قد تمَّ دفنُ البائعين بجوفهِ
فاغْتَسلتُ بنهرنا وقتَ التوثق
وانضويتُ تحتَ رعاشِ الخوفِ
وبينَ أنين البوحْ
جلستُ بشَاطئ النهرِ العذابِ لأصْطَفِيه
أيُّها النهرُ المغَامَرْ:
إنىِّ سَليلُ الخوارجِ والخاضعين بحسنِ النوايا
إنى خليلُ القوافل
إنْفَتحتْ باسمى نواقيس المداخلْ
مَنحتُ أشجارنَا سرَّ الأسرارْ

لم أكنْ نجمًا سياسيًا
ولم تَخنىٍّ بَصيرتى
أدركتُ منذَ البدءِ
أنَّ الجذورَ لا تستوى
وأن تقاطرَ دماءِ العصاةِ
حزمةُ قصائدِ فى ثيابٍ رثه
لكن والسيفُ مازال مشهرًا
خلفَ أرواحِ الأرقاءْ
أترعرعُ فى رحمِ الأصفادْ
وصدحِ أطيارِ المساءْ
وأغازلُ بوحَ الأزهارْ
وافتشُ عن سرِّ الجبِّ
عن قمرِ «اليُوسف»
وهزيعِ الدمِ الصادحِ فوقَ قميصِ الفجرْ
نبعُ يمتدُ عبرَ شريطٍ شاسعْ
يأخذُ فى دورته حُمى الشطين
هناكَ تسمتْ باللحن
أنغامُ السماواتِ البعيدَهْ

وصوتُ مئذنةٍ تفتشُ
عن نخيل عربى
فى ربوعِ الأرضِ وخلفِ المنافذ.

من كتاب البحر

قادمٌ بانتماءِ دماءِ الأرضْ
وكانَ الممرُ طريقى
إلى وصاياكِ المخبوءةِ
فى جذوعِ الفصولْ
انتماءُ باسمِ الحكمةِ المغصوبةْ
وباسمِ الأرضِ اليبابْ
كانَ النهرُ يُراقبنى
ويشهدُ أن التجاعيدَ التى أُورثتْ على جَانبيه
كانتْ بفعلِ فاعلٍ
لم يستدلّ عن اسمه
وقتًا ما
فادْخلْ مَنْفَاكَ وتَبدّلْ
بالصوتِ الآخرْ
واصمدْ فى وجهِ الألوانْ

قَطعتُ طريقى بجوفِ البحرْ
صَادفنى الطيرُ السابحْ
فتَوقفَ يسألُ عن لُغتى
لم أدركْ أن النهرَ يجفُّ
حينَ تتمُّ مواسمُ زخِّ الأمطارْ
ماذا خلّفتَ وراءَك؟
هل تعرفُ بعضَ قلاعِ البحرِ؟
وبعضَ نهاياتِ الأزمانْ؟
مَنْ يدخلُ هذا البحرَ يقولْ:

لكنى لم أدخلْ من بابك
أو حتى بعض مزاراتك
عرّافٌ يومًا أنبأنى:
للبحرِ طقوسٌ أبديه
من يعرفُ لغةَ الطقسِ يُغامرْ
وعليه عصيانُ الموجْ
وليعرفْ أنَّ البحرَ كتابٌ مفتوحْ
لكن اللغزَ اللغزَ هو الملاحْ
تتشابكُ حولى
أعمدةُ الزمنِ الغائبْ
أتحولُ عشقًا للماءْ
تسكننى جموعُ الطيرِ وبعضُ الريحِ
وزفرةُ قلبِ إمرأةٍ
كانتْ بوداعى يومَ الزّفهْ

راعوث(١)

تُوقظُ الأنغامُ فيكَ
بعدَ صحو وأغترابْ
واضطرابٌ اللحنِ فيكَ
كان حلمًا غائبًا
بينَ سوداءِ التوشحْ
كنتَ تركضُ
فوقَ كلماتِ البشرْ
غيرَ أن الماءَ فيك
كان نبعًا للجداولْ
تشبه الاعصارَ حينًا
تشبه الاشعارَ غنّتْ
للمراجل والنغماتِ القديمةْ
عندَ صحو الفجرِ كانتْ تستعرْ
لاندفاعِ الطَلقِ كانَتْ كالنَّدى
فوق غصَنٍ يستَريحْ

(١) راعوث فى العهد القديم امرأة تركت أهلها من أجل البقاء مع زوجها وانتقلت معه إلى قبيلته ثم ماتزوجها وتركها تعانى الوحدة.

هائجٌ صوتُ الجناحْ
والبنفسجُ يكتسى بعدَ وقتٍ بالرياحْ
يا سكونَ الصمتِ والزمنِ المباحْ
ذا (راعوث) بينَ موجٍ مَتلاطمْ
تستقى بالنار جمرًا والغناءُ لا يقاومُ
كلَ أحزان القَبيلةْ
بدِّلى بالماءِ حَزنك
واحْرقى شوقَ الغيابْ
وأسألى فى كل بابْ
هل يجئُ الطيرُ حاملاً تاجَ الحبيبْ؟
...
(أبصرتْ أَسْيَافُهم تنتش جرحًا غريبْ
أسكنتْهاالشمسُ دهاليزَ الخرافةْ
فاسْتفاقتْ بالحدودْ !!!).

سفر الشطوط

أبصرُ الشطوطَ
حيثُ تنمو السواحلُ فضّيةَ الأوجاعْ
والينابيعُ تفيضُ مثلَ أنهارِ القمرْ
فيحطُّ الطيرُ فوقَ تلالِ الرأسِ المتعبْ
والغائب فى تكرار الليلْ
لكنَّ الصوتَ النائحَ يتراخى فوقَ الأوتارْ
والمطرُ القادمُ قد يُنبئُ
بحلول الوقتْ
ينسابُ القاربُ نحوَ الشطْ
ويلوحُ الهيكلُ بالأثقالْ
آه من تلك الأثقالْ
يقتربُ القاربُ نحوَ الشطَ
تتآكلُ ألواحهُ
بينَ رمالِ المدِ وعنفِ الجزرْ
ومهاوى جذعِ الماءْ
تتهادى كموسيقى اللحنِ التائهْ

فوقَ الأوتارْ
نزل الصمتُ
بينَ جبين القارب
كانتْ تعوى بقايا طريق ممدودْ
داخلَ بطن البحرْ
هل يزدادُ الألمُ الباطنُ فينا؟
أو يتحركُ بينَ ضياءِ الظل وبينَ الماءْ
هل تتساقطُ فوقَ شتاءِ الطهرِ
بعضُ عذاباتِ الأميالْ؟
فالمطرُ المفرَد يتغالبْ
حينَ يجفُّ الوقتُ
يجفُّ الماءْ
يتصارعُ من ألمِ العثرةْ
وخلوةِ عاشق سأم بقاءَ العشقْ
بجمرِ التَّوهُّجِ وحصدِ الثمارِ الشهيةْ
هل الأرضُ عَينٌ؟
تُفرقُ بينَ عروق العناكبْ
وكذبِ الأشعةِ وسُكرِ القرونْ

وجذرِ الصفاتِ وقهرِ الحدائقْ
لمنْ تستبينُ يا «شهدَ الرضابْ» ؟؟
على مقعدٍ من رخامِ الأحبةِ وفوضى النداءْ.

خلفية أخرى

بايقاع أرضك اعتصمتُ
نقْتسمُ اللحظةَ الأولى
وقتَ التوحدْ
ربما تحملنى إليكِ ثانيةً
جذورُ السنابلْ
أجنحةً تحملُ مفتاحَ الوردهْ
داخلَ حزن متداولْ
وعشب الكلماتْ
ماتتْ مَن زمن قدْ يأتى
غرقتْ باليم سُفنٌ ولغاتْ
اعتصر الريحُ الفتحَ
وانشق البحرُ ليحتضنَ رائحةَ الطلعِ
وأجنحةِ السماواتْ
لم أتسلمْ أبدًا منكِ رسالهْ
كنتُ أُحاولُ أنْ أعرفَ
هل تعرفنى القدسُ؟؟

من جاءوا إليكِ يحملونَ مفاتيحَ الغارْ
لم يعلموا أنَّ الخزى يعلُو وجُوههم
وأنَّ العارَ شاهدٌ عليهم
حينَ جاء إليكِ
شيوخُ الزارْ
حاملينَ إليكِ رائحةَ الفاتحينَ الجددْ
كانوا يعلمون أن الجزرَ النائيةَ
ترفضُ عطاءَهم المعظمْ
لأنَّ النارَ لا تقولُ الحقيقةْ
وانستاخَ اللون فينا
سرُّ أضدادِ الكَلامْ
مُدِّى لى بالجسرِ كفًا بالخلايا تحترقْ
أصعدُ الأغلالَ فكًا فى عراها
وامتطى غضبَ الخيولْ.

مرثية قصيرة

إلى الصديق الراحل الشاعر/ عبد الدايم الشاذلى

هل تدركُ أنَّ الوقتَ يحينُ
حينَ تكونُ البسمةُ فى منعطفِ الدربِ
طريقَ فناءْ
هل تدركُ معنى الأضواءْ
صديقَ العمرِ الحاضرِ فينا
الغائب عن كلِّ الأسماءِ الصدئةْ
هل جاءَ ميقاتُ الوعدْ
كى تحصدَ سنبلةً من حقل العرقِ الصادقِ
والمنساب على طرقاتِ مدينتنا
القيمةُ أنَّك مازلتَ تقاتلُ بشجاعةْ
وتقاومُ كلَّ تواريخ الجهلاءْ
هل أُغمدَ سيفُ القهرِ
وسيفُ النفى
وسيفُ قياصرةِ الأضواءْ

أمضيتَ العمرَ تلاحقُ دربَ المتنبى
وتتوه بعمق النسيانْ
وتشدُّ وثاقَ الحبِّ
لحقول الزرع وأرض الغابْ
وتؤكدُ أَن السَرَّ آفاقٌ مرجوهْ
بحفاوةِ أزمنةٍ
تعترفُ
بأنَّ الموتَ خيرٌ ضمانٍ للإنسان

قصائد قصيرة

– ١ –

انسياب

فجرَ يوم تنهضُ الأجداثُ فيه
تضرمُ الآفاقُ نارًا
تستقرُّ بالنبوغْ
والشجيراتُ الأبيةْ
لا تُبالى بالجبالْ
يرقصُ الأعصارُ فيها
رقصةً شبه الخيالْ
حينَ ينسابُ المُغنِّى
فوقَ هام الأرضِ دعنى
هل أبوحُ أم أُغنىِّ؟
كالفراشاتِ الجميلةْ
تنتشى زهرَ الخميلةْ

- ٢ -

للبحر

للبحرِ أُلقِي هُمومَنا
فهُو صَديقُ متَاعِبي
وهو المؤكدُ رفضنا
وهو الموثقُ عهدنا
وهو المغامرُ بعدنا
إن جاءنا وعدُ الختامْ

- ٣ -

للمطر

أمطارُنا بينَ الغمامِ ستنهمرْ
تروى اليبابْ
فتعلمى أن التقاءَ الموجِ فيه تتابعٌ
يعنى الإيابْ
فتهبُّ ريحٌ عاتيهْ
من كلِ بابْ
لتفسرِى معنى السحابْ

- ٤ -

للحلم

الآنَ بالمجدافِ نحوَ الشطِّ
تاه دربُنا
ضلَّ السفينُ طريقَه نحوَ المنارْ
الآنَ وحدكَ تستقى عنفًا ونار
لا تقتلْ الحلمَ الوحيدْ
بل فاصطبرْ
هذا انبجاسُ النهرِ فيكَ يختلقْ
جسدًا وشطئانًا ونَجمًا واغتفارْ

– ٥ –

للوقت

ليس غيرى يمنحُ الوقتَ ابتسامةْ
يخرجُ التيارُ فى فجرٍ وفى« الصدرِ علامةْ
ليس غيرى مثلما الأصداف شوقًا
إن خطبى فى رمالِ البحرِ وقتٌ كالقيامةْ
فانسلبْ مدًا وجزرًا
سمنى إن شئتَ حلمًا
سمنى بعدَ المسافةْ

تزامن

فى المدائن كنتُ أطوفُ
محملاً زحامَ الترابِ
وعبواتِ المطارقْ
أرى نفسى التماعًا كالبرقِ فى معصرةِ الليلْ
وتفاصيل الضوءْ
تتزامنُ بالمسافاتِ حباتُ العقدِ المنفرطْ
وانسيابُ الماءْ
كلُّ شئ فى صحوِ القهرِ مُسْجًّى
هى البحْرُ
يَغتسلُ الطهرُ بصمتِ التوهجِ
من مُقْلتيها
وتجمعُ بينَ ايقاعِ التحفزِ وسرِّ التعاظمْ
مفاتيحَ بحرِ اللغاتْ
وعينًا تقدسُ أسماءَها

(١)

صهوةُ الحلمِ التى
يسكنها صوتُ المغنِّى
تمتطى ريحَ الخرافهْ
وعن قرب تسجلُ
وقتَ انعتاقِ الغيوبْ
ها هى غزالةٌ شاردهْ
تخطفُ الأبصارَ ثم تنْحنى
صوبَ الضفافْ
ظمأً يُراودُها
فتسيرُ فى أثرِ التجلى

(٢)

تشاركُ الحرسَ الليلى قلقه المعهودْ
تعشقُ يومَ الأسئلةْ
وتنتشى بالإجابةْ
من يكتفى بحديثِ العشق عنها؟
ويلقى انكساراته التى غشَّاها الوهنْ
نحوَ ينبوع الجنونْ
مثل «ليلىَ العامريةْ» مثل «قيسْ»
حين صارا وحدةً وسطَ الخلاءْ
رنى إنفعلتُ باحتفاءِ الأرضِ بالماءْ
وانشطرتُ تجاهِ الحلم
وقطعتُ طيلةَ ألفٍ ثالثةٍ
فرأيتُ:

الأرضَ تميدُ بعدما حفر الجوعُ بها أنهارْ
أخذتْ تركضُ، نحو فقاعةِ ماءْ
البحر يجفُّ يتلاشى
يجترُّ المجدَ
وبقايا عوالمَ خرساءْ
والريح تقرأُ قصةَ «روميّه»
أخذتُها قيودُ الرِّقِ بينَ بلاطِ الأُمراءْ

(٣)

الشمسُ تصيرُ لغةً أولى
تتحدثُ فى صمتٍ بالغْ
قالتْ فى صوتٍ مكلومْ:
إنغلقتْ منذ اليومِ الأولْ
أبوابُ العودهْ
وانفتحت أبوابُ السيرْ
زرعُ يتطاولُ والرؤيةُ لا تبصرُ شيئا
وسحابُ يُمطرُ فوقَ روابى الأرضْ
والشجرُ النائمُ يتمددُ موتًا
ويُصلى عليه
بعضُ إناسٍ قد فتنوا
بطقوسِ الوعدْ

(٤)

أجداثُ تنهضُ مرقدها
وتغذى السيرَ لغةً
تسمعها جهاتُ الأرضْ
يعرفُ كلَّ خبايا النارْ

(٥)

صار الأجلُ المحتومْ
فأقرأ عطشكْ
مّرًا كانْ
إقرأ عطشكَ ولا تلتفْ
لوجه القبائلْ
وانظرْ بشوقٍ نحو السماءْ
فحلمك كان سًبيلاً لعابدْ

حصان المدى

ابتدأنا الآن قرأةَ الحلمْ
والطريقُ الذى بدأناه
وانفكتْ مفاصله
لا الشمس نادتْ على الأرضِ
ولا القمر أطلَّ من عليائه
ولم يحلْ الليلُ وثاقَ النهارْ

هناك يبدأون طريقهم باتجاه النهرْ
والبحثُ جار بينَ الجذورِ
عن بئر ورايةْ
هى الشمسُ لا تستريحُ
ولا تشترى من العمرِ شيئًا
ولا الأمنياتْ

وهذا حصانُ المدى يرتدى

فى وقتِ الرحيلِ غصونَ الندى
فيشتمُ عبقَ الحقولِ اللواتى
وقفن أمامَ صفيرِ الرياحْ
وتلك الغيطانُ بعثَن الإفادهْ
لعلك تدركُ معنى الشهادهْ

للشاعر :

(١) بدائيات لعازف قديم- مجموعة شعرية- دار لوزان الاسكندرية ١٩٧٩ .
(٢) إقليم البرلس دراسة تاريخية- مكتب هابو كفر الشيخ ١٩٨٥ .

الفهرس

